حول الشعر التعليمى

د. حميدا الله عبدالقادر*

تعريفه

هو هذا اللون من الشعر الذى يهدف به الشعراء إلى تعليم الناس شئون دنياهم وأخراهم ، وتزويدهم بالحقائق والمعلومات المتعلقة بحياة الفرد والجماعة ، وأسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة .....

الف: فهويعالج الاخلاق والعقيدة والعبادة ويتناول الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة وما ينبغى للإنسان أن يكون عليه ، وما يجب ان يتحاشاه ويتباعد عنه... يسلك الشاعر فى ذلك الترهيب والترغيب والنصح والعظمة....

ب: ويتناول التاريخ والسير: فيقرر ويبين الأنساب والأصول والفروع، وتسلسل الحوادث وترتيبها ، ويبحث العلل والأسباب ، ويربط النتائج بمقدماتها....

ج: ويعرض للعلوم والفنون والصناعات ، فيقرر الحقائق المتعلقة بشأنها، ويضع لها القواعد ويستنبط لها القوانين. يقوم الشاعر بكل اولئك ليقدمها لقمة سائغة لمن يريد تعليمه ، فتعيها ذاكرته ، وتسجلها حافظته ، فيسهل عليه استدعاؤها واستحضارها فى الوقت المناسب وبهذا ترى أن الميادين التى يعمل فيها هذا اللون من الأدب ، أو الشعر الذى نسميه "تعليميا" ثلاثة ميادين:

---

* الأستاذ المساعد ، إداره علوم اسلامية جامعة بنجاب لاهور.

(٢) السير والتاريخ

(٣) الحقائق والمعارف المتعلقة بالعلوم والفنون والصناعات.

عندالیونان

عرفت اليونان هذا اللون من الأدب عند جماعة من شعرائها القدامى ، ومن أشهرهم "هزيود" فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وكان من أهم الأعمال المنسوبة إليه قصيدتان: اولاهما التى تتناول موضوعى الأخلاق و العقائد ، والمعارف والحقائق المتعلقة بالفنون والصناعات ، فهى تتحدث عن الجانب الخلقى وتوجه مجموعة نصائح وعظات يصدر العدالة، والظلم والقناعة والجشع ، وعناصر كل منها ، وأصوله ونتائجه بضرب الأمثال والحقائق التاريخية والسماوية والأرضية... كما تعرض أعمال الحقل وما يتصل بها ، فيبين فصول السنة وما يلائمها من ضروب الزراعة، وما تحتاج إليه من أداة وفن....

والقصيدة الثانية هى: " التيوجونيا" أو أنساب الألهة ، وتعرض للألهة ، فتبين نشأتهم وأنسابهم وأصولهم وشعبهم ، وتترجم لكل منهم، فتفصل وظائفه وأعماله وتاريخ حياته (١).

وعند الهنود

وعرف الهنود أيضا هذا الضرب من الشعر ، فراحوا ينظمون به جملة من المعارف والعلوم التطبيقية ، مما دفع "بالبيرونى" إلى الشكوى من أنهم كانوا يعمدون إلى نظم قواعد الرياضيات والفلك ، لأن ذلك يحزجهم أحيانا عن ضبط القواعد وما يستلزمه من دقة فى التعبير لا تتسنى فى النظم (٢).

لدى العرب

أما بالنسبة للأدب العربى ، فيذهب الذاهبون إلى أن العرب لم يعرفوا هذا اللون من الأدب الا فى وقت متأخر نتيجة اتصالهم بالفكر

الوافد.... فهناك من يرى أن هـذا التاثير ناشئ عـن الثقافـة الهنديـة التـى اتصل بها العرب فى العصر العباسى ومن هئـولاء الاسـتاذ أحمـد أمـين(٣) وشـكرى فيصـل(٤) ويـرى آخـرون ان ذلـك مـن مكتسـبات الثقافـة اليونانية(٥).

على أن الدكتور طه حسين يرى أن أبان بن عبدالحميد اللاحقـى هو مبتكر هذا الفن فى الأدب العربى ، اذ يقول : ".... يظهر أن أبان هو أول من عنى بهذا الفن (٦) ويقول عنه فى موضع آخـر "..... فهـو إمـام طائفة عظيمة من الناظمين ، نعنى انه ابتكر فى الأدب العربى فناً لم يتعاطه أحد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمى"(٧).

وشوقى ضيف يرى انه"فن استحدثه الشعراء العباسيون ، و لم تكن له اصول قديمة ، ونقصد فن الشعر التعليمـى الـذى دفـع إليـه رقـى الحيـاة العقلية فى العصر ، فاذا نفر من الشعراء يتظمون بعـض المعـارف او بعـض السير والأخبار"(٨).

شوقى ضيف يقول ايضا عن رؤبة وعـن ابيـه العجـاج: "الانسـان لايلم بديوانيهما حتى يقطع بأنهما كانا يؤلفان أراجيزهما قبـل كـل شـئ من أجل الرواة ، ومن أجل ان يمداهم بكل غريب ، وكل اسـلوب شـاذ ، ومن هناكنا نسمى هذه الأراجـيز فنونـاً لغويـة ، وقـد بلغـت هـذه المتـون صورتها المثالية عند رؤبة فهو النمو الأخير لهذا العمل التعليمى الذى ارادته المدرسة اللفوية من جهة ، والذى استجباب له الرجاز مـن جهـة أخـرى ، ولعل هذا ما جعل اللغويين يوقرونه أعظم التوقير ، فأبو الفـرج يقدمـه فـى ترجمته بقوله : "أخذ عنه وجوه اهل اللغة : وكانوا يقتـدون بـه ويحتجـون بشعره ويجعلونه إماماً (٩) ويقول الدكتور ضيف:

"والأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعـد اول شـعر تعليمـى ظهـر فى اللغة العربيـة ويقـول: " ومهمـا يكـن فقـد ألهمـت الأرجـوزة الأمويـة

الشعراء فى العصر العباسى أن يقوموا بنظم شعرهم التعليمى ، مكا الهمت أصحاب النثر وضع المقامة"(١١).

وهذا الذى ذهب إليه الكاتب يوشك أن يكون صواباً لو لا أنه قصر به قليلا .... ذلك أننا نرى ان هذا اللون من الأدب لم تكن بذرته قد بذرت فى هذه المرحلة من العصر الأموى ، ولكن البذرة قد نبتت واستوت على سوقها منذ زمن بعيد بعيد !!

من أين أتت الخدعة ؟

ونحن نرجح تخطئة الذين ذهبوا إلى أن الشعر التعليمى إنما عرفه الأدب العربى مع ماعرفه من الثقافة الدخيلة ، والفكر الواحد ــ شرقية وغربية ، هندية ويونانية ـ أو ابتكر فى هذا العصر العباسى ابتكار السبب امتزاج الأفكار والثقافات وتوالدها ، أو ان الارجوزة الأموية هى التى وجهت إليه الشعراء العباسيين!

إن الخطأ قد أتى هؤلاء الكاتبين من جهة "التطبيق" فهم يعرفون الشعر التعليمى تعريفا نظرياً جيدا ، واضح الحدود والمعالم ، بين القسمات والسمات ، وحين تأتى مرحلة التطبيق العملى يجانبهم التوفيق ، ولا يجدون إلا بعض الجزئيات أو الاقسام فى فترة معينة من الزمان تنطبق عليه هذه النظريات ، ومن هنا ينطلقون إلى القول بأن هذا الفن كان عدماً فيما معنى ثم أصبح له وجود منذ هذه الفترة التى اسموها بالعصر العباسى ، أو على أحسن الفروض العصر الأموى!...

إن هؤلاء الكتّاب يعرفون الشعر التعليمى بمثل ذلك التعريف الذى صدرنا به هذا الحديث ، ثم يقسمونه ثلاثة اقسام كما رأينا.

كل ذلك فى أسلوب يخلو فى الغالب من المقومات الفنية كالخيال والاسلوب الطلى الجميل بقصد تسهيل الحفظ والتذكر (١٢).

ثم هم حين يأتون إلى مرحلة النظر فى الأدب العربى منذ جاهليته، وهل حوى نماذج من الشعر التعليمى ، يذهبون تلك المذاهب التى أشرنا إليهما فيما تقدم!...

رأينا

ومع أن ما فى الشعر التعليمى ـ فى عمومه ـ من مأخذ وعيوب أكثر مما فيه من حسنات وفضائل ، وأن مافيه من مثالب ونقائص لا يدعو إلى الدفاع عنه ، والتحمس للقول فأن العرب قدعرفوه فى أدبهم ، نقرر أن الادب العربى منذ جاهليته قد شارك فى هذا اللون من الفن بكل اقسامه التى قدمناها:

(١) فبالنسبة للتاريخ وذكر القرون الخالية والأمم البائدة ، قد امتلأ الأدب العربى بشعر الشعراء فى ذلك وقد كان ذلك أحد المنطلقات التى انطلق منها جماعة من الشعراء خصوصاً اولئك الذين كانوا على شئ من الثقافة الدينية والعلمية كأمية بن أبى الصلت ، وعدى بن زيد...(١٣)الخ من ذلك قصيدة عدى فى منشأ الخلق وقصته خلق آدم وحواء وهبوطهما من الجنة التى يقول فيها:

اسمع حديثاً كما يوماً تحدثه ... عن ظهرغيب اذا ما سائل سألا
ان كيف أبدى إله الخلق نعمته ... فينا ، وعرّفنا آياته الا أولا
كانت رياح وماء ذوعدانية ... وظلمة لم تدع فتقاً ولا خللاً
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت ... وعزل الماء عما كان قد سفلا
وبسط الأرض بسطاثم قدرها ... تحت السماء سواء مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصراً لاخفاء به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة أيام خليقته ... وكان أخرها أن صور الرجلا
وعاه آدم صوتاً فاستجاب له ... بنفحة الروح فى الجسم لذى جبلا

ثم استمر الشاعر يتحدث عن خلق حواء وإسكانها مع زُوجها الجنة ، ونهيهما عن أكل الشجرة ، إلى أن أخذ يتحدث عن العقاب الذى أنزل بالحية جزاء ما أغوت آدم و زوجه فيقول الشاعر:

فلاطها الله اذ أغوت خليفته طول الليالى و لم يجعل لها أجلا
تمشى على بطنها فى الدهر ماعمرت والترب تأكله حزناً وإن سهلا (١٤)

(٢) فاذا انتقلنا إلى لون آخر من الشعر التعليمى فى الجاهلية وهو ذلك الذى أسموه "حقائق الفنون والعلوم والصناعات" وجدناله مثالاً صارخاً للشاعر الجاهلى" الأخنس بن شهاب"... وهذه القصيدة يذكر فيها سكنى قبائل نجد قبيلة قبيلة ، فهى من هذه الناحية تدخل فى علم تقويم البلدان . أو ما يسمى بالجغرافية . فمما جاء فى هذه القصة:-

فمن يك أمسى فى بلاد مقامه يسائل أطلالاً بها لا تجادب
فلابنة حطّان بن قيس منازل كمانمّق العنوان فى الرق كاتب
.....
وغسّان حى عزهم فى سواهم يجالد عنهم خسّر وكتائب
وغارت إياد فى السواد ودونها برازيق عجم تبتغى من تجارب
ونحن أناس لاحجاز بأرضنا مع الغيث مانلقى ومن هو غالب
ترى رائدات الخيل حول بيوتنا كمعزى الحجاز أعوزتها الزرائب(١٥)

فالقصيدة ـ كما ترى ـ من الشعر التعليمى دون ريب:

ذلك لأن المقصود منها هو بيان مساكن هذه القبائل فى جزيرة العرب والعراق وما إليهما.

(٣) اما القسم الثالث من الشعر التعليمى ، وهو الذى يتناول العقائد والأخلاق ، فهو فى الشعر الجاهلى أكثر من أن يحصى عدداً خصوصا عند هئولاء الشعراء من أمثال أمية بن أبى الصلت وعدى وزهير... فإذا جئنا إلى العصر الأموى ، وجدنا هذا الضرب من الشعر قد تمثل بوضوح فى عدة موضوعات ، أولها: انه نظمت به الكيمياء ـ أو الصنعة كما كانوا

يسمونها... فلقد روى المسعودى ان حكيم آل مروان ـ خالد بن يزيد بن معاوية الذى اشتهر باهتمامه بالكيمياء قد وضع منظومة فى هذه الصناعة، ذكر فيها طريقة تحويل المعدن الخسيس إلى جوهر نفيس ، يقول فيها:

خـذ الطّلق مع الأشق ... وما يوجد فى السطرق
وشيئا يشبه البرقا ... فدبّره بلا حرق
فإن أحببت مولا كا ... فقد سوّدت فى الخلق (١٦)

كما استخدم هذا الشعر فى تعليم غريب اللغة ـ كما قدمنا فى صدر هذا الحديث عند الكلام عن الأرجوزة الأموية ، التى أسهمت فى إبراز صورة الشعر التعليمى العباسى ، وفى المقامة فى جانب النثر فيما بعد... ولقد وقعت محاولة الاستخدام هذا اللون فى شرح فروع الدين ـ فى رأى عبدالملك بن مروان من أحد شعراء العصر ، فوقف عبدالملك فى سبيله وذلك فيما يروى من أن الشاعر الأموى " الراعى النميرى" قد أنشد عبدالملك بن مروان قصيدته التى يشكو فيها السعاة وهم يأخذون الزكاة ، حتى اذا بلغ قوله:

خليفة الرحمن انّا معشر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله فى أموالنا ... حق الزكاة منزلا تنزيلا

قال عبدالملك ، ليس هذا شعرا ، هذا شرح اسلام وقراءة آية (١٧).....

وهكذا استمر الأمر ، نرى شيئا من الشعر التعليمى فى هذا الموضع أو ذاك ، حتى اذا جاء العصر العباسى ، رأينا الشعراء ينظمون به فى جملة موضوعات و مسائل علمية و تاريخية و قصصية اظهارا للبراعة ، و دلالة على قدرتهم على التجويد والإبتكار ، وتذليلاً على أنهم قد ألموا بمعارف العصر ، و ثقافات الأمم الأخرى التى نقلت إلى العربية ....

و أنهم قد صاروا على شئ من هضم هذا الذى ترجم ، فهم يسهمون بدورهم فى نقله و إيصاله إلى الآخرين عن طريق هذا اللون من

الشعر ... من ذلك ما يروى من ان السيد الحميرى (١٠٥هـ ـ ١٧٣هـ) سمع محدثاً يذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ساجدا ، فركب الحسن والحسين علىظهره ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " نعم المطيّ مطيكما " ... فقال النبى صلىالله عليه وسلم : "ولنعم الراكبان هما" فانصرف السيد الحميرى من فوره ، فقال فى ذلك:

و اتى الحسن والحسين النبى ... وقد جلسا حجره يلعبان
فغدّ اهما ثم حياهما ... وكانالديه بذاك المكان
فراحا و تحتهما عاتقاه ... فنعم المطية والراكبان
وليدان أمهما بَرَّة ... حَصان مطهرة للحصان

يقول أبان بن مزدوجة الفرائض شارحاً احكام الصوم والزكاة:

هذا كتاب الصوم وهو ... جامع لكل ماقامت به الشرائع
من ذلك المنزل فى القرآن ... فضلاً على من كان ذابيان
قال ابو يوسف اما المفترض ... فرمضان صومه اذا عرض
والصوم فى كفارة الأيمان ... من حنث ما يجرى على اللسان
و معه الحج و فى الظهار ... الصوم لا يدفع بالانكار
و خطأ القتل و حلق المحرم ... لرأسه فيه الصيام فافهم
فرمضان شهره معروف ... و صومه مفترض موصوف
والصوم فى الظهار ان لم يقدر ... مظاهر يوماً على محرر
والقتل ان لم يك عمداً قتله ... فإن ذاك فى الصيام مثله
شهران فى العدة كاملان ... متصلان لا مفرقات
والحنث فى رواية مقبُولة ... ثلاثة ايامها موصوله
ومثلها فى عدة الأيام ... للمحرم الحالق فى الإحرام
ثلاثة يصومها إن طلقها ... لا بأس إن تابعها أو فرّقا(١٩)

و هذا انموذج من نظمه لكليلة و دمنة ، يقول فى المقدمة :

هـذا كتاب أدب و محنة وهوالذى يدعى كليل دمنـه
فيه ولالات و فيه رشـد وهـو كتاب وضعتـه الهنـد
فوصفوا آداب كل عالـم حكايـة عـن ألسن البهائـم
فـالحكماء يوفون فضلـه والسخفاء يشتهـون هـزلـه

و يقول فى باب الأسد والثور:

و إنّ مـن كان دنئ النفس يـرضى مـن الأرفع بـالأخس
كمثل الكلب الشقى البائس يفرح بالعظم العتيق اليـابس
وإن أهل الفضل لايرضيهم شئ اذا مـا كان لا يغـنيهم
كالأسد الـذى يصيد الأرنبا ثـم يرى العير المجـد هربـا
فـيرسل الأرنب من أظفاره و يتبع العيـر عـلى أدباره
والكلب مـن رقتـه ترضيه بلقمـةٍ تقذفها فى فيـه (٢٠)

و ينظم أبان لهذا الكتاب ولقيانـه المكافـأة الجزيلـة مـن البرامكـة ، بإقبال الناس عليه ، أقبل غيره من الشعراء على نظم هذا الكتاب ، والنسج على منواله.

ومن هنا تدافع الشعراء ينظمون الشعر التعليمى فى عدة أبواب من المعارف والعلوم والفنون ، فاستخدموه فىالصراع العقدى والمذهبى ، وفى الحكمة والموعظة ، وفى الفلك والنجوم، والسيرة والتـاريخ ، وفـى اللهـوو المجون والحب وأصوله وقوانينه!...

ففى ميدان الصراع العقدى والمذهبى:

كان بشر بن المعتمر يفيـد مـن هـذا اللـون الشـعرى فـى الصـراع المذهبى ، و تائيد و جهة نظر الاعتزال ، وتابعه جماعة مـن الشـعراء الذيـن

أثارهم بشار بن برد بما ذهب إليه تفضيل النار على الأرض ، وابليس على آدم فى أبياته التى يقول فيها:

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتبينوا يا معشر الأشرار(٢١)

فتصدواله يردون عليه مبينين أن للأرض الفضل على النار ذلك لأنها اصل النار وأن النار موجودة فيها "بالقوة" وأن فى الأرض أعاجيب لا تحصى ولا تعد من المعادن والنبات والعناصر الأخرى.

فلبشر قصيدتان طويلتان رواهما الجاحظ فى الحيوان ، اولادهما فىذمّ فرق الإباضية والرافضة والحشوية ، وذكر فيها اصنافاً من الحيوان ، و تحدث عن أعاجيبها و طبائها وما تقتات به ، ستدلاً بذلك على قدرة الخالق ، وقد بدأها بالحكمة ، فقال:

الناس دأبا فى طلاب الغنى وكلهم من شأنه الخترّ

كأذؤب تنهشها أذؤب لها عواء ولها زفر

تراهم فوضى و أيدى سبا كل له فى نفسه سحر

تبارك الله و سبحانه بين يديه النفع والضر

من خلقه فى رزقه كلهم الذيخ والتيتل والعضر(٢٢).

والقصيدة الثانية تتحدث عن العالم وما فيه من المخلوقات المختلفة الأجناس ، و يعدد الشاعر الحيوان و أوضاعه مستدلاً بذلك على حكمة الله ، مستخلصا من ذلك ان العقل وحده هوالذى ينبغى ان يهتدى به الناس ، وألاّ يتخذوا غيره رائداً مرشدا كما يفعل من ضلوا و احتكموا إلى التقليد :

اما ترى العالم ذاحشوة يقصر عنها عدد القطر

أوابد الوحش وأجناسها و كل سبع وافر الظفر

ثم يعود الشاعر فيعدد الحيوان ويذكر طبائعه و انه فى طلب رزقه يقلد بعضه بعضا ، وعلى مثالهم فى هذا أبناء آدم ، إلا أنهم مختلفون فى الدين ، و متفاوتون فى الرأى و القدر ، وقد تحكمت فيهم واستولت عادة الاتباع و التقليد:

وكل جنس فله قالب ... وعنصر أعراقه تسرى
و تصنع السرفة فيهم على ... مثل صنيع الأرض والبذر
والأضعف الأصغر أحرى بأن ... يحتال للأكبر بالفكر
متى يرى عدوه قاهراً ... أحوجه ذاك إلى المكر
كما ترى الذئب اذا لم يطق ... صاح فجاءت رسلاً تجرى
وكل شيء فعلى قدره ... يحجم أو يقدم أو يجرى
والخلد كالذئب على خبثه ... والفيل كالأعلم كالوبر
والعبد كالسحر وإن ساءه ... والأبفث الأعشر كالوبر
فافهم كلامى واصطبر ساعة ... فإنما النجح مع الصبر
وانظر إلى الدنيا بعين امرئ ... يكره ان يجرى ولا يدرى(٢٣)

وحين أنشأ بشار قصيدته المتقدم ذكرها فى تفضيل النار و ابليس على الأرض و آدم ، أنشأ صفوان الأنصارى قصيدته المضادة فى تفضيل الأرض و آدم ، فقال:

زعمت بأن النار أكرم عنصرا ... فى الأرض تحيا فى الحجارة والزند
و تخلق فى أرحامها و أرومها ... أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
وفى القعر من لج البحار منافع ... من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
وفى قلل الأجبال حلف مقطم ... زبر جد الملاك الورى ساعة الحشد
وفى الحرة الرجلاء تلقى معادن ... لهن مغارات تبجس بالنقد
من الذهب الإبريز والفضة التى ... تروق و تصبى ذا القناعة والزهد
وكل فلزّ من نحاس وآنك ... ومن زئبق حى ونوشادر يسدى

وكل يواقيت الأنـــام وحليها ومن الأرض والأحجار فاخرة المجد
وفيها مقام الحل والركن والصفا ومستلم الحجاج من جنة الخلد(٢٤)

كما شارك فى الرد على بشار أيضا سليمان الأعمى.
اخو مسلم بن الوليد قائلاً:

لا بد للأرض إن طابت وإن خبثت من أن تحيل إليها كلّ مغروس
وتربة الأرض ان جيدت وإن قحطت فحملها أبـداً فى إثـر منغوس
وبطنها بفلزّ الأرض ذوخبـر لكل جوهرة فى الأرض مرموس
وكل آنية عمت مرافقها وكل منتقد فيها و ملبوس
وكل ماعونها كالملح مرفقة وكلها مضحك من قوم إبليس(٢٥)

فى ميدان الموعظة والحكمة:

ومن أبرز الشعراء الذين استخدموا الشعر التعليمى فى الموعظة والحكمة أبو العتاهية الذى كانت له عدة قصائد تعليمية أسهم بها فى ميدان نقل العلم والمعرفة للآخرين... " وأخذت مكانها فى تربية الذوق الإسلامى وتهذيب الناشئين" (٢٦). ومن أبرز قصائده هذه أرجوزته المعروفة بذات الأمثال التى يقف فيها موقف المعلم من تلاميذه ، أو الحكيم الواعظ الذى يوجه الناس ويريهم سبيل الرشاد من منبره ... وهى ارجوزة مزدوجة ينفرد كل بيت فيها بقافية يشترك فيها شطران ، ويذكر ابوالفرج أنها طويلة جدا (٢٧) ، وفيها أربعة آلاف مثل (٢٨). ولكنه لم يثبت منها فى أغانيه الاثلاثة وعشرين بيتاً (٢٩). إلا ان جامع ديوانه قد أورد منها ما يقرب من الخمسين بيتاً (٣٠).

وابوالعتاهية فى ذات الأمثال هذه يأتينا بحكم اخلاقية وأمثال سائرة سجل فيها خلاصة تجاربه وآرائه فى الحياة مصوغة صياغة مضغوطة

مركزة فى اخصر عبارة بحيث تبدو فى صورة الأمثال السائرة- كما هو واضح من اسمها- منتخف على الألسنة ، وتعلق بالذاكرة ، فيسهل تداولها، ويدع فى الذهن استدعائوها واستحضارها، ومن هنايحتسبها من يحتسبها فى الشعرالتعليمى (٣١). ويضعها من يضعها فى أدب الحكمة:-

والقصيدة لا تعرض لموضوع واحد ، او الفكرة واحدة ، ولكنهاتعرض لعدة موضوعات ، والأفكارشتى ، فكل بيت يعرض فكرة مستقله ، وقد تشترك عدة أبيات فى عرض فكرة ، ولكن يظل كل بيت وحدة قائمة بذاتها ،تعرض جانبا مستقلا من جوانب الفكرة العامة ، يقول ابوالعتاهية:

حسبك ما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من أتقى الله رجا وفافا
إن كان لايغنيك مايكفيكا فكل مافى الأرض لايغنيكا
إن القليل بالقليل يكثر إن الصفاء با لقذى يكدّر

ومنها:

لكل شئ معدن وجوهر واوسط وأصغر وأكبر
ولا شئ لاحق بجوهره اصغره متصل بأكبره
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج لذانتاج ، ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض
لكل إنسان طبيعتان خير وشروهما ضدان
والخير والشر اذا ماعدا بينهما بون بعيد جدا

وهكذا تمضى الأرجوزة التى يتضح فيها تعدد الموضوعات
وتشتت الأفكار الذى ربما كان السبب فيه أنها لم تنظم
فى وقت واحد ، وانما نظمت فى أوقات متباينة متباعدة

كلما حظ للشاعر خاطر ، وعنت له فكرة جديدة بالتسجيل أسرع إلى تسجيلها رجزاً وألحقها بدفتره (٣٣).

ومن شعره هذا مذكراً بالموت وسكراته ، لائما على نسيانه والسهو عنه:

حتى متى تصبو ورأسك أشمط أحسبت ان الموت فى اسمك يغلط أو
لست تحسبه عليك مسلطا ويلى وربك إنه لمسلّط
ولقد رأيت الموت يفرس تارة جثث الملوك وتارة يتخبط
فتألف الخلان مفتقدالهم ستشط عمن تألفن وتشمط
وكأننى بك بينهم خفق الحشا بالموت فى غمراته يتشحط
وكأننى بك فى قميص مدرجاً فى ريطتين ملفف ومخيط
لا ربطتين كربطتى متسنم روح الحياة ولا القميص مخيط(٣٤)

ويمكن النظرفى هذه النصوص التى أوردناها من قبل لبشر بن المعتمر ، وصفوان الأنصارى ، وسليمان الأعمى- باعتبارها نماذج للحكمة والموعظة ، بل هى من صميم ذلك دون ريب ، كما يمكن اعتبار آداب و أشعار الوعاظ والزهاد من الأدب التعليمى فى الصميم!...

هذا وبا لله التوفيق وصلى ا لله على النبى وآله وسلم.

الهوامش

١- الادب اليونانى القديم للدكتور على عبدالواحد وافى دارالمعارف ص ٩٩.
٢- ضحى الإسلام لأحمد أمين، ٢٤٦/١
٣- ضحى الإسلام لأحمد أمين ، ٢٤٦/١
٤- مناهج الدراسة الأدبية دار العلم للملائين ، ص ١٠٨
٥- الشعر فى بغداد فى القرن الثالث الهجرى للدكتور احمد عبدالستار ، ص ٢٥٠
٦- من حديث الشعر والنثر ، ص٤٨٦
٧- حديث الأربعاء ، ٢٢٠/٢
٨- العصر العباسى الأول ص١٩٠
٩- التطور و التحديد فى الشعر الأموى ، ص ٣٥٢
١٠- المرجع نفسه ، ص ٣٤٨
١١- المرجع نفسه ، ص ٣٥٣
١٢- انظر حديث الأربعاء ، ص/٢٢٠ ، ومن حديث الشعر والنثر، ص٣٨٥، والعصر العباسى الأول ، ص ٢٩٠، واتجاهات الشعر لهداوة ص ٣٥٥، والأدب اليونانى القديم ، ص٨٨، والشعر فى بغداد، ص١٨٢
١٣- انظر عدى بن زيد للدكتور محمد على الهاسمى ، ص ١٣٣-١٧٧
١٤- الحيوان للجاحظ ، ١٩٧/٤-١٩٩
١٥- المفضليات للضبى ،ص٢٠٣ ، و حماسه ابى تمام ، ٢٩٩/١
١٦- مروج الذهب للمسعودى ،٥١٤/٢
١٧- جمهرة أشعار العرب ، ص١٧٢
١٨- الأغانى دار الكتب ، ٢٥٩/٧
١٩- الأوراق للصولى ، قسم أخبار الشعراء ، ص٥١
٢٠- الأوراق ، ص ٤٦ وما بعدها

٢١- رسالة الغفران بتحقيق بنت الشاطئ ، ص٣١٠
٢٢- الحيوان للجاحظ ، ١٤/٦ ، ٩١
٢٣- الحيوان ، ٢٩١/٦-٢٩٧
٢٤- البيان والتبيين ، ٢٧/١
٢٥- المرجع السابق ، ٤١/١-٤٣
٢٦- دراسات فى الأدب الإسلامى لمحمد خلف الله ، ص١٠٩
٢٧- الأغانى طبعة دار الشعب ، ص١٢٥١
٢٨- المرجع السابق ، ص ١٢٥٠
٢٩- المرجع السابق ، ص ١٢٥٠-١٢٥١
٣٠- ديوانه نشر لويس شيخو ، ص ٤٩٣-٤٩٦
٣١- دراسات فى الأدب الإسلامى لمحمد خلف الله ، ص ١٠٩
٣٢- حياة الشعر فى الكوفة للدكتور يوسف حليف ، ص٥٦٩
٣٣- المرجع السابق ،ص ٥٦١
٣٤- ديوان أبى العتاهية ، ص ٢٤٤

****